

(٤٣) من تراث الكوثري

كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة

تأليف

العالم العلامة الفقيه الزاهد

محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني

من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة

صدرنا الكتاب بتقدمة نفيسة وتعليق علمي مفيد

لمضرة العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ

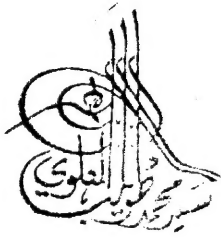
محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

٥١٢٠٨٤٧ ☎



من تراث الكوثري
-٤٣-

كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة

تأليف

العالم العلامة الفقيه الزاهد

محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني

من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة

صدرنا الكتاب بتقدمة نفيسة وتعليق علمي مفيد

لمضرة العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهريّة للتراث

٩ درب الأتراك خلف جامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل ،
1077 - 00

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة / تأليف
محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ؛
تقديم وتعليق / محمد زاهد بن الحسن الكوثري
. ط 01 - . القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث ،
2006

68 ص ؛ 24 سم . - (من تراث الكوثري ؛ 43)
تدمك : 2 - 118 - 315 - 977

1- علم الكلام

2- الباطنية (فرق إسلامية)

أ- الكوثري ، محمد زاهد بن الحسن (مقدم ومعلق)
ب- العنوان

رقم الإيداع : 9564 / 2006 م



كلمة الناشر:

أحمدك اللهم مولى النعم، وموفق الهمم، يا من أحاط بكل شىء ولا يحيط به شىء، وأشكرك شكر من توجه إليك خاشعاً خاضعاً متذلاً فأصبح من الفائزين، وأصلى وأسلم على نبينا محمد ﷺ منبع الحكم وأبلغ مبعوث للأمم، وعلى الذين اصطفاهم الله من بين خلقه ليكونوا هداة لهم ومرشدين فى كل وقت وحين إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الباطنية والقرامطة من أشد الفرق خطراً على الإسلام على رأى من عدّهم من الفرق الإسلامية، والحقيقة أن أصل دعوتهم مؤسس من مجوس الفرس الذين اندسوا بين المسلمين باسم الإسلام فأسسوا الجمعيات السرية للعمل على هدم كيان الإسلام، ونشروا دعاياتهم بين الدهماء من المسلمين بطرق خطيرة، فغرروا بعقول الضعفاء باسم أهل البيت الطاهرين والانتقام لهم مما أصابهم على أيدى الفساق من حكام عصرهم، فأثرت دعاياتهم الخطيرة أثرها الفعال بين المسلمين فكثرت أشياعهم وازداد جنودهم.

واختلف المؤرخون الذين كتبوا بعض الشذور عنهم وعن معتقداتهم اختلافاً كبيراً؛ وذلك لسرية عقائدهم، حتى جاوز الاختلاف من عقائدهم إلى أسمائهم، لذلك يجد الباحث صعوبة جمة فى تحقيق أسماء

الزعماء منهم وكشف معتقداتهم، فلا يجد ما يشفى به الغليل من معرفة الحقيقة إلا الضئيل.

وإن أهم كتاب كشف الغطاء عن هذا الموضوع إلى يومنا هو هذا المؤلف النفيس الذى نقدمه للقراء خدمة للعلم ولنفع المسلمين؛ لأن كاتبه من فضلاء فقهاء السنة فى اليمن فى منتصف القرن الخامس للهجرة ومن الذين اندسوا بينهم للكشف عن حقيقتهم وبيانها للمسلمين، فتحقق من معتقداتهم وكشف الغطاء عن حقيقتهم.

وقد عثرت على أصل هذا الكتاب بطريق الصدفة ضمن أوراق خطية مبعثرة غير مرتبة قديمة العهد يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠هـ رديئة الخط، فى جملها نقص، وكنت عزمت على إهمال طبعه لو لم يلهمنى الله ويوفقنى إلى العثور على نسخة فوتوغرافية فى هذا المعنى فى دار الكتب المصرية العامرة كتب على ظهرها هذه الجمل:

نظراً لأهمية هذا الكتاب وندورته فقد اختارته دار الكتب المصرية فى عهد حضرة صاحب السعادة حبيب بك حسن مدير "جرجا" لأخذ صورة منه لتحفظ بها من كتب أفقر العباد إلى رحمة الله المهدى لدين الله وقفه عام ١١٦٦هـ.

ثم من كتب من طاب عنصره وسما فخره سيف الخلافة صفى الإسلام والدين أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين بن المهدي لدين الله رب العالمين - هداه ربه إلى طريقة آبائه الكرام وجنبه عن السلوك فى مسالك السفهاء اللئام آمين - فى رجب سنة ١٢٢١هـ.

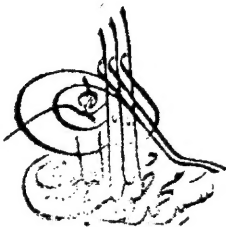
ثم انتقل إلى ملك الفقير إلى الله عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم سنة ١٣٢٢هـ.

ولذا سعيت سعى المجد فراجعتها على نسختي، وقابلتها سطرًا بسطر فوجدت أن الكتاب واحد، فأتممت النقص الموجود بنسختي واتكلت على الله في طبعه ونشره بين العالم الإسلامي خالصاً لوجهه الكريم والتمست من أستاذنا ومولانا العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري نزيل القاهرة أن يطلع عليه، وأن يتكرم بكتابة مقدمة له والتعليق عليه ليزداد النفع به، فأجابني - حفظه الله وأمد في عمره - بالقبول.

وكذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى الأديب الفاضل الأستاذ محيي الدين العنسي اليماني الذي تكرم بتحقيق أسماء البلاد اليمنية التي ذكرها المصنف، وإنني أرجو الله تعالى أن يعم النفع بهذا الكتاب، إنه سميع مجيب.

الناشر

السيد عزت العطار الحسيني^(١)



^(١) واليوم - بفضل الله تعالى - يعاد طبع الكتاب بالمكتبة الأزهرية للتراث.

تقدمة الكتاب

وكلمة عن طوائف الباطنية

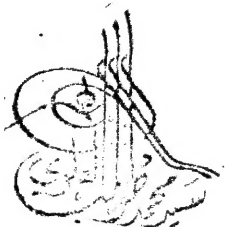
لما أشرقت الأرض بنور الإسلام استتارت العقول، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، ونبذوا الأديان الباطلة ظهرياً حتى تم للمسلمين ما يعرفه الجميع من المفاز الخالدة، لكن زعماء المتدهورين أمام هذا التيار من الوثنيين، والصابئين، واليهود، والنصارى، والمجوس، كانوا يحملون بين جوانحهم أحقاداً متأججة تحملهم على تثبيت كل شر ضد هذا النور الوهاج، ولما استيقنت أنفسهم أنهم لا يستطيعون الوقوف بالقوة أمام هذا السيل الجارف لكل مبطل وهارف سلكوا طريق الاحتيال في الوصول إلى أمانهم، فاندسوا بين المسلمين متظاهرين بالورع الكاذب، مستثيرين أنواع الفتن بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أن حدثت تلك الفتن الدامية ضد أهل بيت النبوة - رضى الله عنهم - فبدأوا يتظاهرون بمظهر العطف على آل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه وآله - وبمظهر الانحياز إليهم، والدعوة لهم علماً منهم بأن أنجح وسيلة لإثارة فتن هوجاء تقعد بالمسلمين عن الاستمرار على ما هم عليه من نشر الفضيلة وقمع كل رذيلة، ورقى باهر في جميع الشئون، هو نبش الأحقاد واستثارة الأمة بدعوى الدعوة إلى أهل البيت - عليهم السلام - استغلالاً لتوتر أعصاب الأمة أسى على دماء أهل بيت الرسول المسفوكة ظلماً وعدواناً من قبل جبابرة الدولتين الأموية والعباسية بالنظر إلى أن أرباب الحكم فيهما كانوا يتخوفون على مراكزهم - كلما جدت دعوة إلى أهل بيت النبوة - فيُنزلون بآل الرسول صلوات الله عليه وآله صنوف الضيم

لا يرقبون فيهم إلّا ولا ذمة. وإن أهل البيت أيضاً كانوا لا يستطيعون فى دورهم أن يقفوا مكتوفى الأيدى مستسلمين لظلم جبابرة السياسة فيلابسون الفتن سرّاً أو جهراً، والأمة فريقان: فريق إلى هؤلاء، وفريق إلى هؤلاء طوعاً أو كرهاً، وهكذا كان يستفحل الخطب، ويستشرى الشر، وهذه غاية ليس وراءها غاية عند هؤلاء الهدامين.

فدونك كتاب "مقاتل الطالبين"^(١) وهو ينبئك عن تلك الدماء الطاهرة المسفوكة فى تلك الفتن ظلماً وعدواناً. ولم تزل قلوب الأمة دامية متألّمة لذلك، وقد اتخذ هؤلاء الأعداء التلّغ بالشييع وسيلة لحشد حشود، وتأليف جمعيات سرية تسعى فى نشر المذهب الباطنى - مذهب الإباحة والإلحاد - وجعلوا التشيع ستاراً لما يرون أن يبثوه بين الأمة من الرذيلة، ونذر البوار، وصنوف الإباحة والمروق على توالى القرون واختلاف البلدان، وقد تمكن كثير منهم من مخادعة الجمهور بدعوى النسب الطاهر عن آباء مستورين كذباً وزوراً، متذرعين لذلك باختفاء كثير من السادات فى الفتن خوفاً من شرور الجبابرة.

ولا يخفى على الباحث كيف كان انتقال ميمون بن ديسان بن سعيد إمام الباطنية - من أصبهان إلى الأهواز ثم إلى البصرة - متظاهراً إذ ذاك أنه من آل عقيل - ثم إلى شامية حمص بالشام، وكيف اتخذها معقلاً له مدعياً الانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر - عليهم السلام - هناك مع أنه مات من غير عقب، ثم كيف بثّ دعائه فى أقطار

(١) طبعته دار إحياء الكتب العربية طبعاً جيداً ومصححاً تصحيحاً متقناً.



الأرض - مزودين بتعليمات في الدعوة إلى ضلالهم على تسع منازل كما هو مشروح في خطط المقریزی (٢-٢٢٧) وقد بعث من هناك دعاة إلى الكوفة واليمن، ومن هناك إلى المغرب.

ومن الأشخاص البارزة بين الباطنية: (حمدان بن الأشعث) الملقب بقرمط في سواد الكوفة، وأخوه (ميمون) المبعوث إلى خراسان فيما بعد و(أبو شامة الحسين) و(عبدان) و(أبو سعيد حسن بن بهرام الجنبی) وابناه (أبو طاهر سليمان وسعيد) و(ابن حوشب) و(أبو عبد الله الشيعي) وأخوه (أبو العباس) المبعوثان إلى المغرب للدعوة إلى (عبيد المهدي) و(الحسن بن مهران المقنع) و(ذكرويه بن مهرويه) صاحب الفتن بالشام و(الحسن بن الصباح) صاحب الموت و(حمزة بن علي).

ومن الأمور المعلومة لمن له إلمام بالتاريخ ما تم لكل واحد منهم من الأحداث في الأقطار، كاستيلاء (أبي طاهر) على الحجاز وقلعه الحجر الأسود، واستيلاء (العبيدين) على شمالي أفريقيا واقطر مصرى، وتسليطهم الصقالبة، والروم، والأرمن، والكتاميين وغيرهم من صنوف الأعاجم على المسلمين، وتحكيمهم إياهم على رقاب أهل الإسلام بأنواع من الضيم، ودعوى الألوهية لأئمتهم، وإظهارهم كلمة الإلحاد علناً وجهاً بعد أن كانوا يسرونها إسراراً، وفتحهم باب الاستيلاء على بلاد الإسلام لطوائف الصليبيين ومؤامرتهم معهم ضد المسلمين إلى غير ذلك مما لا يستقصى من وجوه الفتن وضروب الخزي.

ومن العجب العجائب أن يدعى هؤلاء الملاحدة الانتماء إلى أهل بيت النبوة، فيروج هذا الادعاء على أناس، وحاش لله أن يجعل أهل بيت

رسوله دعاة للإلحاد ناشرين للرديلة هادمين لأركان الإسلام، بل قد طهرهم الله من ذلك كله، والله درّ القائل:

قال النبي مقال صدق لم يزل يحلو لدى الأسماع والأفواه
إن فاتكم أصل امرئ ففعاله تنبيكم عن أصله المتناهى
وأراك تسفر عن فعال لم تزل بين الأنام عديمة الأشباه
وتقول إني من سلالة أحمد أفأنت تصدق أم رسول الله

وكثير من المتتقين الأشرار كانوا يبيعون حجج النسب بأبخص الأثمان على توالى القرون ومن أبشع النماذج فى هذا الباب ما يعزى إلى النقيب عمر مكرم - فى عهد والى مصر المغفور له محمد على باشا الكبير - من إدخاله كثيراً من الفلاحين بل الأقباط واليهود فى النسب إلى أن رفع عامة العلماء فى القطر - وبينهم أمثال محمد الأمير شيخ مشايخ الأزهر - محضراً فى هذا الشأن إلى والى والى مقام الخلافة حتى أقصى النقيب من النقابة، ومثله ما يذكره الشهاب الخفاجى - عالم مصر فى القرن الحادى عشر - فى "ريحانة الألباء": وأما ما يقال (الناس أمناء على أنسابهم) فبمعنى قبول استلحاق رجل لولد مجهول النسب فيما ليس فيه جر مغنم، لا بمعنى وجوب تصديق كل من يدعى النسب الزكى مثلاً بدون حجة شرعية، وإلا لاختلط الحابل بالنابل.

فمن زعم انتساب العبيديين إلى على - كرم الله وجهه - إما متساهل فى البحث والتحقيق قابل عن كل من هب ودب، أو منطوٍ على النصب والانحراف من أهل البيت يريد وصمهم بالموبقات، أو منتسب

إلى هؤلاء العبيدين ظناً أو حقيقة يود أن يجعل لهم منقبة النسب الشريف وقد ملأوا العالم بمثالبهم، أو متكاثر ألهاه تكاثره حتى جعله يكثر بملاحة أدياء، وقليل ذليل من تكاثر واعتز بأعداء الدين.

ومن يعير سمعاً إلى الشرع لا يستطيع أن يغفل ما أرصده قاضى قضاة الدولة العباسية المعروف بعلمه وورعه الإمام أبو محمد بن الأكفانى بعد شهادة شهود فى نسب العبيدين من الحكم بإبعادهم عن النسب الزكى، وفى جملة موقعى ذلك المحضر المسجل فى التواريخ الشريفان (الرضى والمرضى) و(ابن الجزرى) و(أبو حامد الإسفرائينى) و(أبو عبد الله الضيمرى) و(أبو الحسين القدورى) و(أبو الفضل النسوى) و(أبو جعفر النسفى) وغيرهم من كبار الأئمة فى مذاهبهم.

وصورة ذلك المحضر: هذا ما شهد به الشهود أن معد^(١) بن إسماعيل بن عبد الرحمن^(٢) بن سعيد منتسب إلى ديسان بن سعيد الذى ينسب إليه الديسانية، وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور^(٣) بن نزار

(١) وهو المعز الذى اتخذ مصر عاصمة العبيدية بعد استيلاء قائده جوهر الصقلى عليها. ز.

(٢) وهو القائم، وله عدة أسماء وهذا من جملتها، وسعيد هو عبيد المهدي الذى ينسب إليه العبيديون، وعبيد هذا كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة، قال أبو الحسن القابسى: الذين قتلهم عبيد الله وبنوه بعده ذبحاً فى دار النحر - التى كانوا يعذبون فيها الناس ليردوهم عن الترضى على الصحابة - أربعة آلاف رجل ما بين عالم وعابد اختاروا الموت على لعن الصحابة. اهـ. وأما الذين اتصاعوا لهم وشرقوا - على مصطلحهم - ففى غاية من الكثرة، وأما الذين قتلوهم من عامة المسلمين فيما بين المغرب الأقصى ومصر فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه. ز.

(٣) وهو الحاكم بأمر الله، قال ابن كثير: ادعى الإلهية كما ادعاها فرعون، وكان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن تقوم الصفوف لذكره إعظاماً ولاسمة احتراماً، وكان يفعل هذا فى سائر مملكته حتى فى الحرمين الشريفين. اهـ. وكان أهل مصر على الخصوص إذا قام

الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والدمار - ابن معد بن إسماعيل ابن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد على بن أبي طالب - رضى الله عنه - وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل، وأن هذا الناجم في مصر هو وسلفه كفار زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج وأحلوا الخمر، وسبوا الأنبياء، وادعوا الربوبية وكتب في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمئة.

وأي مسلم يستبج توقيع مثل هذه الصيغة إذا لم يكن الأمر واضحاً لديه كواضح الصبح؟ فضلاً عن أن يوقع أمثال هؤلاء الأئمة ما هو غير معلوم عندهم علماً تاماً، بل من درس أحوال هؤلاء العلماء الذين وقعوا هذا المحضر تيقن أن أصغرهم شأنًا يفضل الموت على إصدار حكم مخالف للشرع في نظره. وأين أمثال هؤلاء الجبال في العلم والاستقامة والدين؟ وأين مثل الإمام أبي بكر الباقلاني - الذي هو مع هؤلاء في إبعاد العبيديين من النسب الزكي؟ ولو أخذنا نسرد من يرى هذا الرأي من كبار أهل العلم على توالي القرون لطال بنا الكلام جداً. ولم يكن الخليفة القادر بقادر على إكراه أمثال هؤلاء الموقعين من أئمة العلم على

خروا سجداً فيسجد لسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم. وأين هذا من أمر المؤيد الخطاب أن ينزلوا درجة عند ذكر اسمه في الخطبة ليكون ذكر اسم الله واسم رسوله وأسماء أصحابه فوق مكان يذكر فيه اسم السلطان، وكان ابن حجر أول من فعل ذلك في الأثر كما في "حسن المحاضرة". ز.



القول على خلاف ما يعلمون، بل لو حاول ذلك لفقد كرسى الحكم فى الحال؛ لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم بين الأمة، فما نقضوه كان هو المنقوض، وما أبرموه كان هو المبرم فى ذلك العهد، على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان، بل يذكر بالدين والتقوى، فمن ظن بهؤلاء العلماء أنهم ينصاعون للإشارة من ظالم فقد ظلمهم وجهل مقدارهم فى الاستقامة، ولعل المتقول عليهم بذلك يظن بهم أنهم كهو فى الميل عن الحق بأدنى إشارة من فوق، والشعر المنسوب إلى الشريف الرضى فى الاعتداد بنسب العبيديين مختلف غير موجود فى ديوانه، وهو أجل قدراً من أن يظهر بمظهرين فى وقتين.

وهؤلاء العبيديون - أحفاد ميمون - يدعون الانتساب إلى أحمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق - رضى الله عنهم - لكن إسماعيل مات فى حياة والده، ومحمد لم يعقب كما نص على ذلك النسابون الثقات، وقد توسع فى بيان ذلك الإمام عبد القاهر التميمى فى "الفرق بين الفرق"

وأما دعوى أنهم من نسل أئمة مستورين فما هى إلا اعتراف منهم بأنهم مجهولو النسب - راجع "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٢٥٩:١) و (٢٧٢) - وسل المعز لسيفه ونثره للدنانير على الحضور قائلاً: هذا نسبى وهذا حسبى، فى صدد الجواب عن السؤال عن نسبه مما هو مدون فى كتب التاريخ، وحديث البطاقة أشهر من نار على علم.

نعم للعبيديين فقه لكن مدون فقهم ابن كلس اليهودى.

ولمذهب هؤلاء الزنادقة ألقاب على اختلاف البلدان، أشهرها "الباطنية" لزعمهم أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً انسلاً من



الدين، ويعرفون في العراق باسم "القرامطة" - جمع قرمطي "نسبة إلى قرمط السابق ذكره" - وباسم المزدقية أيضا - بالنظر إلى أنهم يدينون بدين الاشتراك في الأبضاع والأموال الذي ابتدعه مزدق في عهد قباد الساساني، ويسمون في خراسان "بالتعليمية، والملاحدة، والميمونية" نسبة إلى ميمون أخى قرمط السابق ذكره دون ميمون بن ديسان لأنه ليس بفرع بل هو أصل البلاء كله، ويدعون في مصر "بالعبيذية" نسبة إلى عبيد المعروف، وفي الشام "بالنصيرية، والدروز، والتيامنة" وفي فلسطين "بالبهائية" وفي الهند "بالبهرة والإسماعيلية" وفي اليمن "باليامية" نسبة إلى القبيلة المعروفة - وفي بلاد الأكراد "بالعلوية" حيث يقولون: علىّ هو الله - تعالى الله عما يقولون - وفي بلاد الأتراك "بالبكداشية، والقزلباشية" على اختلاف منازلهم، وفي بلاد العجم "البابية"، ولهم فروع إلى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه، وتظهر لكل قوم بمظهر تقضى به البيئة وقدماءهم كانوا يسمون أنفسهم بالإسماعيلية باعتبار تميزهم عن فرق الشيعة بهذا الاسم، لكن دللنا فيما سبق على أن صلتهم بإسماعيل بن جعفر الإمام كصلتهم بالإسلام، بل تميزهم عن الفرق إنما هو بادعائهم حلول الإله في أئمتهم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم).

قال البهاء الجندى: كان عنوان كتب ابن فضل الباطنى باليمن إلى أسعد بن يعفر (من باسط الأرض وذأحها، ومزلزل الجبال ومُرسها على ابن الفضل إلى عبده أسعد) وهكذا - قاتلهم الله - ما أجرأهم على الله!



ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، ولدعوتهم تسع منازل يتدرجون بها إلى المكاشفة بالإلحاد المكشوف والإباحة المفضوحة.

وعن البلاغ السابع من بلاغاتهم السبعة يقول محمد بن إسحاق النديم: (قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات، والوضع من الشرائع وأصحابها) ومن أقدم من رد عليهم: أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الكوفي من أصحاب أبي بكر بن الإخشيد من رجال منتصف القرن الرابع، فمن جملة ما قال في حقهم:

ومن شأن دعائهم أن يتنقلوا في الأرض ولا يطيلوا اللبث في مكان واحد لكيلا يكون مملولاً مستقلاً، وليكون أبعد من تمكين أحد من كشف بواطن أمره خذراً، ورأوا أن من أولى الأمور به أن يتعاطى من حفظ ألفاظ التوراة والأنجيل وكتب الأنبياء طرفاً، وأن يكون بكثير من اللغات عارفاً، وأن يتحلى بطرف من الهندسة ومعان من تهاويل المتفلسفة، وأن يسالم في ظاهره أهل الديانات المختلفة، ويريهم في بعض أحواله أن اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والإسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة، وأن البلاء الذي وهَمَ الجاهل اختلافها اتكالهم على ظاهرها دون باطنها وجهلهم بمعانيها وأوضاعها، وأن الآفة جاءت في ذلك من الناقلين لها، وعملهم بغير ما توجبه حقائقها، وأن الناس لو عرفوا بواطن ذلك لاستراحوا واتفقوا وتآلفوا وما اختلفوا. اهـ.

وهذه مرحلة من مراحل دعوتهم، وهكذا يعملون في مذاهب الإسلام أيضاً مدندنين حول توحيدها تمهيداً للانسلاخ من الكل، وتجد ما

يضاهي هذا في كتب غلاة المتصوفة - راجع "الإنسان الكامل" للجبلى - ولم يخل هؤلاء من التأثير بالباطنية في أمور وصنيع رجال (إخوان الصفا) إنما هو مرحلة أخرى من مراحل تلبيسهم واعتبار "أن الدين للعامة والحكمة للخاصة" كما يلفظ به هؤلاء وأذنابهم إنما هو مروق مكشوف.

وقد أجاد الرد عليهم الغزالي في (فضائح الباطنية) و(القسطاس) بدون أن يتعرض لأنبيائهم، والقاضى عبد الجبار الهمداني رد عليهم قبله رداً جيداً في كتابه "تثبيت دلائل النبوة" مع ذكر أنبيائهم بمناسبات.

ووقائعهم موزعة على السنين في كتب التاريخ ففي ابن الأثير وأبى الفداء، وابن الوردي، وابن كثير، وابن خلدون أنباء كافية عنهم وقد تكلم عبد القاهر التميمي في "الفرق بين الفرق" (٢٦٥) على معتقدهم بنوع من البسط واستطرد المحبى في خلاصة الأثر (٣-٢٦٨) وقال عند الكلام على الدروز: (وأما القول فيهم من جهة الاعتقاد فهم والنصيرية والإسماعيلية على حد سواء، والجميع زنادقة وملاحدة) ثم نقل عن كثير من كبار أهل العلم في المذاهب نص قولهم: (أن كفر هؤلاء الطوائف مما اتفق عليه المسلمون، وأن من شك في كفرهم - بعد العلم بحالهم - فهو كافر مثلهم، وأنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم لا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبائحهم) إلى آخر ما أطال به - رحمه الله.

وفي تاريخ الكافي (٣٠٤:٢ - ٣١٩) بسط واف في معتقدهم

الباطل، وكم أثارت جمعياتهم السرية من فتن هوجاء على تعاقب القرون.



وأما أشخاص تلك الجمعيات فيدور حولها اختلاف كثير في كتب الملل والنحل، وكتب التاريخ، وكتب الردود، وذلك أمر طبيعي بالنظر إلى أن جمعياتهم كانت سرية، وكانوا يتسمون بأسماء دون أسماء في وقت دون وقت في عهد الكمون قبل أن تستقر لهم دولة، فالباحث في حاجة شديدة إلى الاطلاع على جميع النصوص والأقاويل في شتى المصادر ليستخلص من بينها الحقيقة، ولا شك أن من أهم المصادر في هذا الباب الكتب التي يكون مؤلفوها شهدوا الفتن وشاهدوا سيرها، ولكن قل ما بالأيدي من أمثال تلك الكتب بالنسبة إلى القرامطة الأقدمين.

فدونك أول كتاب برز في عالم المطبوعات من تلك الكتب وهو (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) تأليف الفقيه أبي عبد الله محمد ابن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني من فقهاء السنة باليمن في أواسط المائة الخامسة، وهو تمكن من الاندساس بين الصليحيين من أهل هذا المذهب في اليمن حتى خبر خبرهم ودرس ظاهرهم وباطنهم، ثم ألف هذا الكتاب بياناً لما انطوا عليه من صنوف المخازي ووجوه الاحتيال وتحذيراً للمسلمين من الاغترار بمبادئ دعوتهم.

وقد نقل مؤرخ البلاد اليمنية في أوائل القرن الثامن القاضي بهاء الدين يوسف الجندی بعض نتف من هذا الكتاب في تاريخه، لكن لم يكن الأصل بمتناول أيدي الباحثين، إلى أن ظفر به الأستاذ الأديب الباحثة السيد عزة العطار - حفيد حفيد العلامة محدث الشام المرحوم السيد حامد ابن أحمد بن عبيد العطار الحسيني شيخ مشايخ مشايخنا في الحديث - فرغب في نشره في إعداد مطبوعاته القيمة ليعم نفعه ويسهل تناوله لكل

باحث، وأطلعنى على نسخة من الكتاب فطالعتها وعلقت على مواضع منها كلمات نزولاً عند رغبته ووضعت فى آخر كل تعليقة لى (ز.) ليمتاز ما هو لى عما هو لغيرى وكتبت هذه التقدمة للإمام بأطراف الحديث.

والقارئ الكريم المهتم بالنحل يجد فى هذا الكتاب من التوسع فى بيان أنباء قرامطة اليمن خاصة ما لا يجده فى كتاب سواه، ويلقى فيه أيضاً من أنباء تتعلق بنشأة القرامطة الباطنية ما لا يجد فيما سواه، فيقف من مقارنة ما فيه بما فى المصادر الأخرى على جلية الأمر فيحذر المسلمين من صنوف مكائدهم، ومن الوقوع فى هاويتهن، والله سبحانه ولى الهداية.

محمد زاهد الكوثرى



Handwritten text, mostly illegible due to fading and bleed-through. The text appears to be organized into several paragraphs, possibly containing a list or table of contents in the upper portion.





قال محمد بن مالك - رحمة الله عليه: اعلّموا أيها الناس المسلمون - عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته، وسددكم - أنى كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما تسمعون، وما يتكلم به عليه من سيئ الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غدا؟ فيقول: ما شهدت ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولاً ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ونطقت به الألسن، فتارة أقول: هذا بما لا يفعله أحد من العرب والعجم ولا سُمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة من الناس للمال الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول: (حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا).

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه وأبينه للمسلمين وأوضحه أن له نواباً يسميهم: الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم "المكلبين" تشبيهاً لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذى ينثر الحب للطير ليقع فى شركه، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به، وينظرون صبره، ويتصفحون أمره ويخدعونه بروايات عن النبى ﷺ محرفة وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه، والانقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك، ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معانى الصلاة والطهارة، وما روى عن النبى ﷺ بالرموز والإشارة دون التصريح فى ذلك العبارة^(١) فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه، فيقول: عم أسأل؟ فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن، لأن الصلاة صلاتان، والزكاة

(١) هكذا بالأصل. انتهى. المصحح.

زكاتان، والصوم صومان والحج حجان، وما خلق الله من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] و﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس، وعرفه الخاص والعام... أما الباطن فقصّر علم الناس عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف، دليل على محمد وعلى صلى الله عليهما؛ لأنهما سبعة أحرف، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبي ﷺ فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة لأنه مذهب الراحة والإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله.

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا، قالوا له: قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر فيدفع اثني عشر ديناراً، فيقول ذلك الداعي: يا مولانا إن عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها، فاطرح عنه الصلاة، وضع عنه هذا الإصر وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً، فيقول: اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه، ويقولون: الحمد لله الذى وضع ﴿عَنكَ وَزَرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣] ثم يقول له ذلك الداعى الملعون بعد مدة: قد عرفت الصلاة، وهى أول درجة، وأنا أرجو أن يبلّغك الله إلى أعلى الدرجات، فاسأل وابحث، فيقول: عم اسأل؟ فيقول له: سل عن الخمر والميسر اللذين نهى الله تعالى عنهما وهما: أبو بكر وعمر لمخالفتهما على على وأخذهما الخلافة دونه، فأما ما يُعْمَل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام؛ لأنه مما أُنبَتَت الأرض، ويتلو عليه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] إلى آخر الآية، ويتلو عليه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] إلى آخر الآية، والصوم: الكتمان، فيتلو عليه: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] يريد: كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ويتلو عليه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مريم: ٢٦] فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئاً فدل على أن الصيام الصموت، فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً وينهمك إلى قول ذلك الداعى الملعون، لأنه أتاه بما يوافق هواه، والنفس أمارة بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى تكون لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم، فيدفع اثنى عشر ديناراً فيمضى به إليه، فيقول: يا مولانا، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة، فأبج له الأكل برمضان، فيقول له: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول: نعم، فيقول:

قد وضعت عنه ذلك، ثم يقيم بعد ذلك مدة، فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات، فاعرف الطهارة ما هي؟ ومعنى الجنابة ما هي في التأويل؟ فيقول: فسر لى ذلك، فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هي موالة الأضداد، أصدقاء الأنبياء والأئمة فأما المنى فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان وعليه يكون أساس البنیان؟ فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب لأنهما نجسان، وإنما معنى «وإن كنتم جنباً فاطهروا» [المائدة: ٦] معناه: فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح، كالماء الذى هو حياة الأبدان، قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» [الأنبياء: ٣٠] وقوله: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» [الطارق: ٥، ٦] فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثنى عشر ديناراً، ويقول: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه إليك، فيقول: اشهدوا أنى قد حلت له ترك الغسل من الجنابة.

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون: قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة فاكشف عنها، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلو عليه: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ» [السجدة: ١٧] فيقول له: ألهمنى إياها، ودلنى عليها، فيتلو عليه: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» [ق: ٢٢] ثم يقول له:

أُتِيبَ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ فَيَتْلُو عَلَيْهِ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣] وَيَتْلُو عَلَيْهِ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] وَالزَّيْنَةُ هَاهُنَا مَا خَفِيَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَسْرَارِ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا الْمَخْصُصُونَ بِذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وَالزَّيْنَةُ مُسْتَوْرَةٌ غَيْرُ مُشْهُورَةٍ، ثُمَّ يَتْلُو عَلَيْهِ: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢١-٢٢] فَمَنْ لَمْ يَنْلِ الْجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَنْلِهَا فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ مَخْصُوصَةٌ بِهَا ذَوُو الْأَبَابِ، وَأَهْلُ الْعُقُولِ دُونَ الْجَهَالِ، لِأَنَّ الْمُسْتَحْسِنَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا خَفِيَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْجَنَّةُ جَنَّةً لِأَنَّهَا مُسْتَجَنَّةٌ، وَسُمِّيَتِ الْجَنَّةُ جَنَّةً لِأَنَّهَا تَسْتَرُ مِنْ فِيهَا، وَالتَّرْسُ الْمَجْنُ لِأَنَّهُ يَسْتَتِرُ بِهِ، فَالْجَنَّةُ هَاهُنَا مَا اسْتَتَرَ عَنْ هَذَا الْخَلْقِ الْمُنْكَوسِ، الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ وَلَا عَقُولَ، فَحِينَئِذٍ يَزْدَادُ هَذَا الْمَخْدُوعُ انْهَمَاكاً، وَيَقُولُ لِذَلِكَ الدَّاعِي الْمَلْعُونِ: تَلَطَّفْ فِي حَالِي، وَيَبْلُغْنِي إِلَى مَا شِئْتُ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ: ادْفَعْ النُّجُومَ اثْنَيْ عَشَرَ دِينَاراً تَكُونُ لَكَ قَرِيبَاناً وَسَلَاماً، فَيَمْضِي بِهِ فَيَقُولُ: يَا مَوْلَانَا: إِنْ عَبْدُكَ فَلَاناً قَدْ صَحَّتْ سَرِيرَتُهُ وَصَفَتْ خَبْرَتُهُ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَتَبْلُغَهُ حُدُودَ الْأَحْكَامِ وَتَرْوِجَهُ الْحُورَ الْعَيْنِ، فَيَقُولُ لَهُ: وَقَدْ وَثَّقْتَهُ وَأَمْنْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا مَوْلَانَا قَدْ وَثَّقْتَهُ وَأَمْنْتَهُ وَخَبْرَتَهُ، فَوَجَدْتَهُ عَلَى الْحَقِّ صَابِراً، وَلَأَنْعَمَكَ شَاكِراً فَيَقُولُ: عَلِمْنَا صَعْبَ مُسْتَصْعَبٍ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ عَبْدٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، فَإِذَا صَحَّ عِنْدَكَ حَالُهُ فَادْهَبْ بِهِ إِلَى

زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعا وطاعة لله ولمولانا، فيمضى به إلى بيته، فيبيت مع زوجته، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له، فيقول له: ليس هذا من فضلى، هذا من فضل مولانا، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى من أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون.

ثم يقول له: لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول يا مولانا إن عبدك فلاناً يريد أن يشهد المشهد الأعظم، وهذا قربانه، حتى إذا جن الليل ودارت الكئوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفأوا السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه فى يده، ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعى الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: ليس هذا من فضلى، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقتكم ووضع عنكم أوزاركم وخط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذى حرم عليكم جهالكهم ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى على شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد

على جميع ما ذكرته، عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم وأعد له جهنم وساعات مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته، فأدبت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله على من حفظ هذه الشهادة فإن الله سبحانه وتعالى أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُكِّتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته.

المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

وقد رأيت أيها الناس - وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب - أن أذكر أحوال هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقاتلتهم لبیب عاقل، ويكون فى هذا القدر من الكلام فى هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن وقف عليه واعتبره.

باب

اعلموا يا إخوانى فى الإسلام أن لكل شىء من أسباب الخير والشر والنفع والضرر والداء والدواء أصولاً، وللأصول فروعاً، وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى به^(١) الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور عبد الله^(٢) بن ميمون القداح فى الكوفة وما كان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة، ودخوله فى طرق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته إياها على الطغام، ومكيدته لأهل الإسلام.

وكان ظهوره فى سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل، ولبس الحق بالباطل

(١) هكذا بالأصل والصواب: "بها". اهـ. مصححه.

(٢) المصنف يذكر ميموناً مرة وابنه أخرى كما هنا، وقد جارينا الأصل فى ذلك وفيما يسوقه من أبنائهما هنا بعض مخالفة لما ذكر عبد القاهر فى "الفرق" وابن النديم فى "الفهرست" والمقرئ فى "الخطط" وغيرهم، فكل منهم دون ما بلغه من الأنباء، وفى تحييص ذلك كله طول ز.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً، وزخرف الأقوال، وضرب الأمثال، وجعل لآي القرآن شكلاً يوازيه ومثلاً يضاهيه، وكان الملعون عارفاً بالنجوم معطلاً لجميع العلوم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] فجعل أصل دعوته التي دعاها، وأساس بنيته التي بناها الدعاء إلى الله وإلى رسوله، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله، والاختصاص لعلي بن أبي طالب - رضى الله عنه - بالتقديم والإمامة، والطعن على جميع الصحابة بالسب والأذى، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله من سب أصحابي»^(١) وقال عليه السلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٢) وقال ﷺ: «من سب أصحابي»^(٣) فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار» فأفسد بتمويهه قلوب الجاهل وزين لهم الكفر والضلال، وله شرح يطول فيه الخطاب غير أني أختصر، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولى الألباب والأبصار وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد

(١) ولفظ الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وفي سنن الترمذي: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا: لعنة الله على شرككم» وفي الباب أحاديث يعضد بعضها بعضاً. ز.

(٢) أخرجه رزين، وله طرق ضعيفة. ز.

(٣) ولفظ أم سلمة عند أحمد: «من سب علياً فقد سبني». ز.

الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها "سلمية"^(١)، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، وكان صائغاً يخدم (شيعة) "إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين علي ابن أبي طالب" - عليهم السلام - وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة الإسلام وأهله، والبغضاء لرسول الله ﷺ، فلم يرَ وجهاً يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، وكان قد خرج في أيام "قرمط"^(٢) البقار" وكان اسمه أو لقبه؛ لأنه كان يقرمط في سيره إذا مشى^(٣) ولذلك نسب إلى أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط لأنهما اجتمعا وعملا ناموساً يدعوان إليه، وكان يعرفان النجوم وأحكام الأزمان فدلها الوقت على تأسيس ما عملاه فخرج ميمون إلى الكوفة، وأقام بها مدة، وله أخبار يطول شرحها مما كان منه ومن "علي بن فضل" و"المنصور" صاحب مسور وأبي سعيد الجنابي وأنا أشرح ذلك عند انتهائي إليه - إن شاء الله تعالى - وأما قرمط البقار فإنه خرج إلى بغداد، فقتل هناك - لا رحمه الله.

(١) سلمية: بليدة بالشام من أعمال حمص. ز.

(٢) قرمط: وهو حمدان بن الأشعث، وكان خروجه سنة ٢٦٤ كما يذكره ابن المذهب، وكان ظهور الجنابي بالبحرين سنة ٢٨٦. ز.

(٣) يعنى: يقارب بين خطواته، ومنهم من يقول: إنه كان أحمر البشرة، فلقب بقرمط، و(كرمت) الآخر في لغة الروم فعر، وقيل: قرمد، ثم قرمط. ز.

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه - لعنه الله - ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالتة ومذهبه

وكان أول أولاده عبيد^(١) وهو المهدي، ثم محمد وهو القائم، ثم (الطاهر) إسماعيل المنصور، ثم (المعز)، ثم (العزیز) ثم (الحاكم) ثم (الظاهر)، ثم (معد المستنصر)^(٢) هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا، فانتسابهم إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشرف ينكرون؛ ذلك فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً، ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً، بل الكل يقصيه عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، وحاش لله ما كان لمحمد إسماعيل من ولد، ولا عرف ذلك من الناس أحد، بل هم «كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» [إبراهيم: ٢٦] الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون: معداً المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد^(٣) بن ميمون، ثم

(١) إليه تنسب دولتهم فيقال: "دولة العبيدية بمصر" ويتورع أهل التحري عن تلقيب دولتهم "بالفاطميين" حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه أهل التحري من ثقات المؤرخين. ز.

(٢) والمستنصر هذا توفي سنة ٤٨٧هـ، فيكون المؤلف من رجال أواسط القرن الخامس. ز.

(٣) لم أر من عبيداً بن ميمون مباشرة، والمشهور أنه سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون. خرج سعيد هكذا متكرراً إلى مصر ثم إلى المغرب فادعى هناك أنه علوي

يقولون: ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب^(١) وكان للسائل لهم الارتياح وقالوا: هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه. والدليل على أنهم من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

فاطمى بعد أن ادعى قبل ذلك أنه عقيلي، وتسمى هناك أيضاً "عبيد الله" وتلقب بالمهدى حتى تم له ما هو مشروح في التواريخ. ز.

(١) ومن المعروف عند المؤرخين أن المعز العبيدي لما قرب إلى مصر بعد فتحها بمعرفة قائد وخرج الناس للقاءه اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له أحدهم: (إلى من ينتسب مولانا؟ قال له المعز: سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر، فسلّ عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال: هذا حسبي، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا) وفي المحضر الذي أصدره أهل العلم ببغداد سنة ٤٠٢ هـ: (..أنهم أدعياء لا نسب لهم في ولد علي - رضي الله عنه -) ومن جملة من وقع عليه الشريفان الرضى والمرضى وأبو محمد الأكفاني القاضي وأبو حامد الإسفرايني وأبو حسين القدوري وغيرهم من كبار الأئمة. وهذا حكم شرعى يجب أن يخضع له، ولو أعطى أحد هؤلاء الدنيا بخذافيرها لما حكم بما يخالف الحق والصدق عندهم كما لا يخفى على من درس سيرهم، والشعر المنسوب إلى الشريف الرضى غير متصور ثبوته عنه، ولم يكن القادر بالله بقادر على إكراههم على خلاف ما يرونه. وكلمة ابن خلدون عن هوى خاص، وكذا توهم المقرئى كما هو مبسوط فى: (الإعلان بالتوبيخ) للسخاوى. ز.

باب خروج ميمون^(١) القداح من سلمية إلى الكوفة

وقد ولد له عبيد وهو الذى يسمونه "عبيد الله المهدي"، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ماكانا يطلبان وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون منهم "على بن فضل الجدنى اليمانى" و"أبو القاسم بن زاذان الكوفى" المسمى المنصور عند كونه فى اليمن فى مسور، و"أبو سعيد الجنابى" صاحب الأحساء والبحرين، و"أبو عبد الله الشيعى" صاحب كتامة فى الغرب، و"الحسن^(٢) ابن مهران" المسمى "بالمقنع" الخارج فيما وراء النهر من خراسان و"محمد بن زكريا" الخارج فى الكوفة، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصراً - إن شاء الله تعالى.

باب ذكر أبى سعيد الجنابى - لعنه الله -

كان فيلسوفاً ملعوناً، ملك البحرين واليمامة والأحساء، وادعى فيها أنه المهدي القائم بدين الله، فاستفتح^(٣)... ودخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال فى ذلك شعراً:

(١) لا يرى القارئ الكريم مثل ما هنا فى الكتب المتداولة لكن رجال الجمعيات السرية الثورية لا يستغرب اختلاف الأنباء عنهم، فليمحص الباحث تلك الروايات بعد اطلاعه عليها. ز.

(٢) وله عدة أسماء: "عطاء" و"حكيم". ز.

(٣) هنا بالأصل نقص، ولعل الناقص: (ثم قتله خادم له صقلى راوده فى الحمام سنة ٣٠١ هـ وتولى بعد ابنه الأكبر سعيد فغلبه أخوه الأصغر أو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى حتى استفحل أمره). ز.

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
 لأننا حججنا حجة جاهلية مجاللة لم نبق شرقاً ولا غرباً
 وأنا تركنا بين زمزم والصفاء جناز لا تبغى سوى ربها رباً
 وله - لعنة الله عليه - أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصاراً
 وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفاً
 - عليه لعنة الله.

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر، وله أخبار شنيعة، وكان حكيماً فيلسوفاً
 ملعوناً، ذكروا أنه عمل قمراً بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة، ولقد
 كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان، وذكروا أنه
 بنى حصناً وعمل فيه للوالب، فكان المسلمون إذا أتوا لقتاله قذفوا
 بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون، فمال إليه خلق كثير حتى بعث الله
 عليهم غلاماً حكيماً، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على
 اللوالب فأخرجوها ودخلوا عليه فقتلوه، وقيل: إنه أحرق نفسه قبل
 دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه.

باب ذكر محمد بن زكريا - لعنه الله -

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي، وكان قد خرج
 بالكوفة، فخرج إليه المكتفى أمير المؤمنين من بنى العباس فقتله - لعنه
 الله ولا رحمه.

باب ذكر على بن فضل الجدنى - لعنه الله -

من ذرية ذى جدر، والأجدون من سبأ صهيب، وأصله من جيشان^(١)، وكان فى أوله ينتحل "الاثنا عشرية"، فخرج للحج، ثم زار قبر النبى ﷺ، ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن على - رضى الله عنه - فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين - رضى الله عنه - بكى على القبر بكاء شديداً، وجعل ينوح ويقول: بأبى أنت يا بن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء، وكان ميمون القداح على القبر، وولده عبيد، فلما بصرا به سرهما وطمعا به، وعلموا أنه ممن يميل إليهما ويدخل فى ناموسهما، فقال ميمون: أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر؟ قال: إذا والله أضع له خدى وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيداً. فقال ميمون: أتظن أن الله قطع هذا الأمر؟ قال له على بن فضل: لا ولكنى لا أعلم ذلك، فبلى عندك منه خبر أيها الشيخ؟ فقال: أخبرك به - إن شاء الله - عند الإمكان، ثم قام ميمون فتعلق به فقال ميمون: تقف بهذا المسجد إلى غد، فوقف أياماً فلم ير له خبراً فودع أصحابه، وقال لهم: أما أنا فلا أبرح هاهنا حتى أتنجز وعداً قد وعدته، فأخذ له من المئونة ما يكفيه فوق أربعين يوماً، وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما.

فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه فى شىء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته، فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه وقال:

(١) جيشان والأجدون وسبأ وصهيب بلدان فى اليمن معروفة إلى اليوم.

سبحان الله يا سيدى، وعدنى الشيخ وعداً فأخلفنى، فقال: لم يخلفك وإنما قال: أنا آتيك غداً - إن شاء الله - وله فى ذلك مخرج على ضميره، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له: يا أخى اعلم أن ذلك الشيخ أبى، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك، وهو يبلغك محبوبك - إن شاء الله ثم أخذ بيده فأوصله إلى الشيخ، فلما رآه قال: الحمد لله الذى رزقنى رجلاً نحريراً مثلك أستعين به على أمرى، وأكشف له مكنون سرى، ثم كشف له أمر مذهبه - لعنهما الله - فأصغى إليه، واشرب قلبه، وتلقى كلامه بالقبول، وقال له على: والله إن الفرصة ممكنة باليمن، وإن الذى تدعو إليه جائز هنالك، وناموسنا يمشى عليهم، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام، وتشيتت الرأى وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية فقال له ميمون: أنا موجهك، والمنصور الحسن بن زاذان، وكان ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل ابن أبى طالب، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثنا عشرية، وكان من أهل الضلال، وكان من أهل الكوفة، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان علم أنه مسعود وأنه ينال ملكاً وشرفاً، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة، فجعل ميمون يلفف به ويفرق فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم، فلم يزل به حتى قبل منه وركن إلى قوله، وما زال به حتى مال إلى معتقده وصار من دعائه الذين يدعون إليه وإلى ولده، فعند ذلك قال ميمون: يا أبا القاسم إن الدين يمانى والحكمة يمانية وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فإنه يكون ثابتاً لثبوت نجم النجم، وذلك أن إقليم اليمن أعلى أقاليم الدنيا، ولا بد من

خروجك إلى هناك أنت وأخوك على بن فضل اليماني فسيكون لكم شأن
وملك وسلطان في اليمن، فكونا على أهبة، فقال له: الأمر إليك يا سيدي.
قال المنصور: كنت أنا وعلى بن فضل وعبيد لا نزال نكثر
المذاكرة في مجلس الشيخ، وكان يقول عند تمام الوقت ومُضَيَّ ستة
أدوار من الهجرة المحمدية: أبعثكما إلى اليمن تدعوان إلى ولدي هذا
فسيكون له ولذريته عز وسلطان، وأخذ عليّ وعليّ بن فضل العهود
والمواثيق لولده، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون: هذا هو الوقت
الذي كنا ننتظره فاجرجا في هذا الموسم، ثم وجهنا إلى اليمن نتظاهر
بالحج وعهد إلينا، ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادى، وقال
لى: الله بصاحبك فاحفظه وأكرمه بجهدك، ومره بحسن السيرة فى
أمره فإنه شاب ولا آمن نبوته، وخلا بعلى بن فضل، وقال: الله الله
بصاحبك وقره واعرف له حقه، ولا تخالفه فيما يراه لك، إنه أعرف
منك، وإنك إن خالفته لم ترشد، قال المنصور: فلما صرت فى بعض
الطريق، لحقنى كمد عظيم لحال الغربة، وإذا بحاد يحدو ويقول:

يا أيها الحادى المليح الزجر نشر مطايك بضوء الفجر
تدرك ما أملتة من أمر

قال: فلما سمعت ذلك سررت به واستبشرت، فوصلت مكة مع
الحج وذلك فى أيام محمد بن يعفر الحوالى^(١) ثم أقبلنا نسأل عن أخبار

(١) بنو يعفر من حمير بقية الملوك التبابعة، استبدوا بصنعاء مقيمين للدعوة العباسية وكان
آخرهم أسعد بن يعفر، ثم أخوه محمد، فدخلوا فى طاعة بنى زياد. ز.

اليمن، ف قيل لنا: إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم واعتزل عن الناس ورجع إلى التنسك والعبادة، فقلنا: ولم فعل ذلك؟ ف قيل لنا: إنه قيل له: إن في هذه السنة يخرج عليه خارجي فيكون زوال أمره على يديه، ويقال: إنه رد في يوم واحد ألف دينار، وقام في بني حوال رجل يقال له إبراهيم فقال:

يا ذا حوال يا مصابيح الأفق تداركوا عزكم لا ينفق
فتطلبون رتق ما لا يرتق فأيكم قام بها فقد سبق
فقام ولد محمد بن يعفر.

قال محمد بن مالك الحمادي - رحمه الله: فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافة^(١) افترقا، وقال كل واحد منهما لصاحبه: أعلمني بأمرك وما يكون منك، فوصل المنصور إلى الجند^(٢) وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم المناخي، وخرج علي بن فضل إلى ناحية جيشان، فأما المنصور فإن ميمونا كان قال له: لا يظهر أمرك إلا من موضع يقال له عدن (لاعة)^(٣) فإنه أقوى لأمرك وأمضي لناموسك وإنما دله على ذلك الفلسفة وعرف ما سطره في كتبهم

(١) وهي تعرف اليوم بغليقة، بلدة بساحل اليمن كانت من أشهر موانئه.

(٢) الجند: مدينة باليمن تبعد عن صنعاء جنوباً بستة أيام.

(٣) وهي أول موضع ظهرت فيه الدعوة للإسماعيلية باليمن، منها قام منصور اليمن ومنها قام محمد بن الفضل الداعي سنة ٣٤٠هـ، ومن وصل إليها من الدعاة: أبو عبد الله الشيعي صاحب الدعوة بالمغرب، وفيها قرأ الصليحي في صباه - كما ذكره عمارة. ز. عدن لاعة: بلدة في غرب صنعاء تبعد عنها مسيرة أيام. عدن أبيين: هي عدن لحج، الثغر الطبيعي لليمن.

من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة، فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن عدن لاعة فقالوا: لا نعرف إلا عدن أبين فدخل عدن أبين بتجارة تصلح لعدن، كما يفعل التجار، فأقام أياماً فيها يسأل عن عدن لاعة مدة مقامه هناك، فبصر به شيخ من تجار عدن، فأنكره، فسأله عن حاله، فقال: أنا رجل من أهل العراق، وكنت حاجاً في هذه السنة قال: فهل عندك خبر؟ قال: لست صاحب أخبار، وعم تريد أن أخبرك عنه؟ قال له العدني: هل حدث في الشام حدث؟ قال: لا علم لي بشيء فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره، فعاهده المنصور على كتمان سره وسأله عن عدن لاعة فقال: هي معروفة ولا يزال أهلها من التجار يصلون إلينا، وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا، ويقال: إن هذا العدني جد بني الوزان فاسدى المذهب، وبني الوزان إلى اليوم رفضة شيع، فلما وصل التجار من عدن لاعة ومن عيان^(١) فسألهم عن الموضوع فأخبروه عنه وأنه في ناحية بلادهم وهي قرية صغيرة، قالوا: فمن أعلمك بها؟ قال: الناس يسمعون بذكر البلدان، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم وقال: أنا رجل من أهل العلم، وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم، ففرحوا به وأكرموا وقالوا: مرحباً بك، نحن أحوج إلى من يبصرنا في أمر ديننا، ونحن نكفيك المئونة ونحملك، فأثنى عليهم وشكرهم وقال: لا حاجة لي فيما عندكم وإنما أردت وجه الله تعالى فارتحل معهم فكان يسامرهم ويروى لهم أحسن الأخبار، فأحبوه وأصغوا

(١) عيان: بلدة باليمن بالقرب من عدن لاعة.

إليه وإلى قوله، فكانوا يحدقون به إكراماً وتبجيلاً حتى قدموا لاعة فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة، فتسامع به الناس وأقبلوا إليه من كل ناحية وهو مستعمل للورع وحسن السيرة، حتى مالت إليه مخاليف المغرب (لاعة وأردان^(١) وحجة وعيان وبلدان البياض^(٢)) فأمرهم بجمع زكاة أموالهم، فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه، فأقام سنتين بعد قتل محمد بن يعفر، واختلاف بنى حوال فيما بينهم، فقال لهم: قد رأيت أن تبنيوا موضعاً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به، فأجمعوا على بناء موضع يقال له: "عبر محرم" وهو جبل تحت مسور وهو موضع بنى العرجى، قوم من سلاطين المغرب همدان، فلما بنى الجبل وحصنه حمل إليه كل ما يحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل، وأخذ عليهم العهود والمواثيق، ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم، وذلك بعد أن أخرج الحوالى عسكرياً فى جنح الليل إلى موضع كانوا فيه يقال له: "الحيفة" فى ناحية لاعة فقتل من أصحاب المنصور اثنى عشر، وارتكب الجبل عبر محرم بمعاملة لبنى العرجى، وأنكر الناس أمره وأضرموا النيران لحربه، فكتب إليهم: إنى ما طلعت هذا الجبل إلا لأحصن به نفسى من السلطان، فلم يقبلوا منه وجاسوا إليه فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم بشراً كثيراً، فعظم حينئذ شأنه، وشاع إلى جميع العشائر ذكره، وبلغ الأمير ذلك فكتب إلى

(١) لعلها عزان.

(٢) بلدان معروفة باليمن إلى اليوم وتابعة لقضاء حجة.

جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله، فقاتلوه مراراً وهو ينتصر عليهم، ثم استجدوا عليه رجلاً من سلاطين شاور يقال له: "أبو إسماعيل وبالحوالى صاحب صنعاء، فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلاً كثيراً، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره، ودخل فى طاعته من كان حوله طوعاً وكرهاً، واستعمل الطبول والرايات، وأظهر مذهبه ودعا إلى عبيد بن ميمون، وكان يقول: والله ما أخذت هذا الأمر بمالى ولا بكثرة رجالى، وإنما أنا داعى المهدي الذى بشر به النبى ﷺ، فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا فى بيعته ومذهبه، ثم سمت به همته إلى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له "فاير"^(١) فيه خمسمائة رجل مأمور للحوالى، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلاً منهم، فارتكب الجبل بالليل، فأصبح فى رأسه وقصد من كان فى بيت فاير وفتح له العشرون الذين عاملوه وقالوا: ادخلوها بسلام آمين، فقال المنصور: اخرجوا منها فإننا داخلون، وسأل صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه فبأمتهم فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلاً نزل عن دابته ومشى إليه واعتنقه فزال عنه الرعب، وقال له: إن معى مالا للسلطان فمن يقبضه؟ فقال المنصور - لعنه الله -: لسنا ممن يرغب فى مال السلطان، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس، وإنما طلعت لإصلاح الإسلام والمسلمين، خذ مال صاحبك فأده إليه، فذكروا أنه - لعنه الله - طلع جبل مسور فى ثلاثة آلاف رجل معه ثلاثون طبلاً فكانت طبوله إذا ضربت

(١) حصن من أمنع حصون اليمن إلى يومنا هذا.

سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب، ثم إنه بعد ذلك حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة، وهو بيت ريب، وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه، ثم بنى بيت ريبة، ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين، وبنى في بيت ريب قصراً وسماه دار التحية، فعند ذلك أحل ما حرم الله، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش، وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث إليهم بالعساكر، فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك، واستولى على جميع مخاليف المغرب قهراً، واستعمل عليهم رجلاً من أهل مذهبه يقال له: "أبو الملاحف" فأقام بناحية جبل تيس والياً للمنصور، وخرج بنفسه وعساكره إلى بلاد شاور، فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا إسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع إلى مسور، ثم خرج إلى ناحية شبام حمير^(١) فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره إلى ناحية المصانع من بلد حمير، فأقام هناك في مراكز لحمير، فتحملوا عليه وقتلوه جماعة من عسكره فانهمزوا إلى مسور، فغفل عنهم أياماً يسيرة، وعامل رجلاً يقال له: "الحسين بن جراح" وكان في الضلع ضلع شبام والياً على أن يعضده على شبام ويكون أمرها إليه فعاقده على ذلك، وخرج بنفسه وعساكره وقام معه الحسين بن جراح ففتح شبام الأهجر، فأخرج منها بنى حوال وحمل إلى مسور جميع ما غنمه من ممالك بنى حوال وأموالهم، وأقام

(١) شبام حمير: مدينة بأسفل جبل كوكبان، وهي غير شبام حضرموت.

هناك شهراً، وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته، وخاف على نفسه وحالف رجلاً يقال له: "ابن كباله" من قواد بنى حوال، كان والياً على صنعاء، فجاش ابن كباله بقبائل حمير وهمدان، وخالف ابن جراح القرمطي فصار في وجهه وبن كباله يقابله على درب شبام، فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزماً بالليل هو وأصحابه إلى مسور، فذكروا أنه ما خرج إلا بنفسه وترك خيله وأقام في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية، وذلك عند دخول على بن فضل صنعاء، وأنا أذكر ما كان منهما - لعنهما الله.

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلى بن فضل إلى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد، ووجه إليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن، وكان ذلك في سنة تسعين ومائتين، فلما وصلت هديته إلى القداح وولده سرهما ذلك وقال لولده: هذه دولتك قد أقبلت.

ثم إن المنصور أقام في مسور إلى أن جرى بينه وبين على ابن فضل الجدنى اختلاف ومحاربة، وأنا أشرح ذلك في موضعه - إن شاء الله تعالى.

وكان موت المنصور - لعنه الله - سنة اثنتين وثلاثمائة، وولى الأمر من بعده عبد الله بن عباس الشاوري.

باب ذكر علي بن فضل بن أحمد الجدنى - لعنه الله -

كان من خبره أنه لما افترق هو والمنصور بغلافة خرج إلى اليمن أيضاً وفيها جعفر بن إبراهيم المناخى، وخرج إلى جعفر من أبين^(١) وفيها رجل من الأصابع يقال له: "محمد بن أبى العلاء" فخرج القرمطى إلى جيشان، ثم خرج إلى سروياغ^(٢) فتفرسهم، فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته، فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجداً وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائماً وليله قائماً فأنسوا إليه وأحبوه وافتتنوا به، ثم إنهم قلدوه أمرهم، وجعلوا حكمهم إليه، فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم، فقال: لا أفعل هذا، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن يعطونى العهود والمواثيق أن لا يشربوا الخمر، ففعلوا له ذلك وأنهم ينكرون المنكر، وينكرون على أهل المعاصى بأجمعهم، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ إلى إرادته، وأمرهم ببناء حصن فى ناحية سروياغ فأطاعوه وسمعوا الأمر.

ثم إنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبى العلاء، وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصى حتى يدخلوا فى دين الله طوعاً وكرهاً، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبى العلاء، فاشتد بأسهم، وكانوا لا يلقون جمعاً إلا هزموا وظفروا عليهم، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه -- لعنه الله -- فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن إبراهيم كاتبه وفرح به وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبى العلاء لقرب القرمطى إليه

(١) أى: من أبين عدن.

(٢) يافع: ناحية باليمن أرضها جبلية منيعة.

فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب بن أبي العلاء، ووجه من عنده
عسكراً إلى القرمطي، وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي
العلاء بينهما نصفين، فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع
وعسكر جعفر، فهزمهم بن أبي العلاء وقتل منهم قتلاً كثيراً، وانهزم
القرمطي إلى "سبأ صهيب" فلما كان الليل جمع أصحابه وقال: إني أرى
رأياً صائباً: إن القوم قد أمنوا منا، وقد علمتم ما فعلوا بنا، وأرى أن
نهجم عليهم فإننا نظفر بهم، فأجابوه إلى ذلك، وهجم عليهم إلى حنفر
فقتل ابن أبي العلاء وعسكره، واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه
تسعين ملحماً في كل واحد عشرة آلاف، فلما رجع إلى بلاد يافع عظم
شأنه وشاع ذكره وأجابه قبائل مذحج بأسرها وزبيد وما لا يحصى عدده
فلما بلغ ذلك جعفرأ اغتم غماً شديداً وسفر إليه ينظر ما عنده، فسأله أن
يقسم ما أخذ من حنفر، فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقى السفير في
أعظم زى من العدة والعدد، فلما عرفه السفير بما جاء به جمع العساكر
وقال: إن جعفرأ أرسل إلى لما بيني وبينه من العهد بقسمه ما غنمت
وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه لأنى لا رغبة لى فى المال، إنما
قمت لنصرة الإسلام، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين
وسلم إلى السفير، وقال: نصرف إلى صاحبك ليلتك، وقل له يستعد
لحربى، وكتب معه كتاباً إليه يذكر فيه: إنه بلغنى ما أنت عليه من ظلم
المسلمين وأخذ أموال الناس، وأنا قمت لأميت الظالم، وأرد الحق إلى
أهله، فإن أردت تمام ما بينى وبينك فرد الظلامات إلى أهلها، وادفع
لأهل "دلال دبة" ما قطعت من أيديهم، وذلك أن جعفرأ قطع أيدي ثلاثمائة

رجل من أهل دلال دبة على حجر بالمذيخرة^(١) يقال: إن أثر الدم على الحجر إلى اليوم، فلما بلغه كتابه أنه منابذ الحرب فقطع مكاتبته.

فلما كان العام المقبل خرج القرمطى بالجمع الكثير، فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر^(٢)، وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس، فانهزم القرمطى مولياً إلى بلاد يافع، فجمع جموعاً كثيرة ورجع فهزم جموع جعفر إلى المذيخرة، فتبعه القرمطى فدخل المذيخرة وانهزم جعفر إلى تهامة، فأقام القرمطى في مذيخرة فاستتجد جعفر بصاحب تهامة فأنجده بعسكر عظيم، فطلع حتى صار في موضع يقال له "الراحدة" بناحية عبة فلما سمع به القرمطى خرج إليه في جناح الليل فظفر به وقتل جعفرأ في الحوالة بنخلة.

قال محمد بن مالك الحمادى - رحمه الله تعالى -: وكان هذا جعفر بن إبراهيم ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء، وإنه قال في شعر له طويل قدر مائتى بيت في حرب كانت بينه وبين أبى جعفر الحوالى، وظفر جعفر على الحوالى في شىء من شعره:

إذا ما تجعظروا بطشنا بقدرة ونفعل ما شئنا وما نتجعظر
فما قبلنا قبل ولا بعد بعدنا لمفتخر فخراً إذا عد مفخر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هم من الرجس والعاثات والسوء ظهر
سلالة إسماعيل ذى الوعد والوفا ودعوة إبراهيم والبيت يعمر

(١) المذيخرة: ناحية في قضاء العدين.

(٢) التعكر: حصون اليمن بجوار مدينة الجند.

محمد الهادي النبي وصنوه عليّ وسبطاه شبير^(١) وشبیر
ونسلمهم الهادين بالحق والتقى بطاعتهم رب السموات يأمر
ومولاتي الزهراء التي عدل مريم وصهر رسول الله مولاي حيدر
رويدك عنى بالملامة إننى بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
ألا كل مجد ما خلا مجد أحمد وعترته من دون مجدى يقدر
وكل امرئ وآلى سوى آل أحمد فذاك الذى الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادنى الرحمن عزاً ومفخراً فأحمده حمداً كثيراً وأشكر
أنا ابن أبى إسحاق منصور حمير وفارسها والشعشعان المظفر
فلولاي لم يخلق سرير ممهد ولولاي لم ينصب على الأرض منبر
أنا قمر الدنيا وعمى سراجها وجدى الذى كانت به الأرض تعمر
هم أنزلونى منزل العز حيث لا يرانى إلا دونى الطرف يحسر
أصول ولا يعدى على وأعتدى وأحمد نيران الحروب وأسعر
وطعمى للأعداء مر وعلقم وطعمى لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغى مهلك أهله وأن الذى يبغى عليه سينصر
رجع الحديث إلى على بن فضل القرمطى لعنه الله أنه لما قتل
جعفرأ أظهر كفره وادعى النبوة وأحل البنات والأخوات، وفى ذلك يقول
شاعرهم على منبر الجامع فى الجند:

(١) هما اسمان لابنى هارون عليه السلام، ويقال: إن النبى ﷺ سمي بهما سبطيه. ز.

خذى الدف يا هذه والعبي^(١) وغنى هزاريك ثم أطربى
تولى نبى بنى هاشم وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعة وهذى شرائع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى وإن صوموا فكلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين من أقربى ومن أجنبى
فكيات تحلى لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه فى الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء حلالاً فقدست من ذهب
والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها.

ثم خرج يريد الحوالى وخرج قبل ذلك إلى بلاد يحصب^(٢)، فدخل
منكث^(٣) فأحرقها، ثم خرج يريد الحوالى صاحب صنعاء، فلما بلغ بلد
عنس وكان للحوالى مأمور فى هران^(٤) فأرسل إليه القرمطى يدخل فيما
هم عليه، فأجابه إلى ذلك، فنزل إليه ودخل فى ملته وقرمطته، وكان معه
خمسمائة فارس رجع منهم إلى صنعاء إلى الحوالى مائة وخمسون

(١) وفى نسخة اليافعى: واضربى. ز.

(٢) يحصب: مخلاف كبير من مخاليف اليمن يضم كثيراً من القبائل اليمنية ومنه: بلاد تريم
وعنس وصنعاء وهمدان.

(٣) بليدة فى بلاد عنس.

(٤) حصن من حصون نمار فى اليمن.

وخرج القرمطي يريد صنعاء، فلما سمع به الحوالى وبالجموع التى معه وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هارباً إلى الجوف، فدخل القرمطي صنعاء فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء، وأمر الناس بخلق رعوسهم، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور إلى شبام فأقام هنالك أياماً، وعلى بن فضل يكبر المنصور ويقول: إنما أنا سيف من أسياfk، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه، فعزم على الخروج إلى مخاليف البياض، فنهاه المنصور وقال: قد ملكنا اليمن بأسره ولم يبق إلا الأقل، فعليك بالتأنى والوقوف فى صنعاء سنة وأنا فى شبام، فيصلح كل واحد منا ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ما ملكناه، فلم يقبل منه وقال: لا بد من الخروج. واستفتح تهامة، فخرج إلى مخاليف البياض وهى بلاد وعرة، فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفاً أحاطوا به، وقطعوا عليه الطرق، ولم يقدر على التخلص، فلما سمع المنصور خاف عليه وأغار إليه واستنقذه، فرجع إلى شبام وعاد إلى صنعاء وخرج إلى جبال حضور ثم إلى حراز ثم إلى ملحان ونزل المهجم وقتل صاحبها وهو إبراهيم بن على رجل من عك^(١).

واستفتح الكدرى^(٢) ورجع إلى ملحان^(٣) وسرى بالليل إلى زبيد وفيها المظفر بن جاج ومعه ستمائة فارس، وهجم عليهم فى أربعين ألفاً

(١) عك: قبيلة فى تهامة اليمن.

(٢) الكدرى: مدينة قديمة فى تهامة اليمن وقد اندرست.

(٣) ملحان: جبل من جبال السراة فى اليمن.

فأحاط بعسكره، فقتل المظفر بن حاج، وكان المنصور مأموراً لصاحب بغداد.

وسبى القرمطى من زبيد أربعة آلاف عذراء، ثم خرج منها إلى الملاحيط، وأمر صائحه وعسكره: يا جند الله يا جند الله، فلما اجتمعوا إليه قال: قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب ما قد علمتم، وأن نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد، فليذبح كل رجل منكم ما فى يده، فسميت الملاحيط المشاحيط لذلك، ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته وأمر بقطع الحج وقال: حجوا إلى الجرف واعتَمروا إلى الثانى "موضعان معروفان هنالك".

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخى وجعفر بن الكرندى والرؤساء وطرده بنى زياد - وكانوا رؤساء مخالف جعفر - ولم يبق له ضد يناوئه عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون الذى كان يدعو إليه، فكتب إليه المنصور يعاتبه ويذكر ما كان من إحسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت إلى قوله وكتب إليه: (إنما هذه الدنيا شاءَ وَمَنْ ظَفَرَ بِهَا افْتَرَسَهَا، ولى بأبى سعيد الجنابى أسوة لأنه خلع ميموناً وابنه ودعا إلى نفسه وأنا أدعو إلى نفسى فأما نزلت على حكى ودخلت فى طاعتى وإلا خرجت) وقد كان^(١) سعيد الجنابى دخل مكة فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفاً وقطع الركن يوم النحر، وهو القائل - لعنه الله:

(١) هكذا فى الأصل، والصحيح: وقد كان أبو طاهر أخو سعيد. ز.

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأننا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبقى شرقاً ولا غرباً
وأنا تركنا بين زمزم والصفاء كتاب لا تبغى سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله فلم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حبيبا
فى شعر طويل^(١) وقد كان الخليفة ببغداد كتب إليه يذكر له ما
فعل ويتوعده على ما استحل، فأجابه أبو سعيد^(٢) القرمطى:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين من أبى الحسن^(٣)
الجنابى الداعى إلى تقوى الله القائم بأمر الله، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ
إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس.

أما بعد - عرفك الله مرأشد الأمور وجنبك التمسك بحبل الغرور
- فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك وذكرك ما وضعته من نظم
كلامك، ونمت به من فخامة إعظامك، من التعلق بالأباطيل، والإصغاء
إلى فحش الأقاويل، من الذين يصدون عن السبيل، فبشرهم بعذاب أليم
على حين زوال دولتك، ونفاذ منتهى طلبتك، وتمكن أولياء الله من رقبتك
وهجومهم على معاقل أوطانك صغراً، وسبيهم حرمك قسراً، وقتل
جموعك صبراً، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(١) ومن قوله: أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

(٢) هكذا فى الأصل، وقد سبق أنه قتل سنة ٣٠١ فالصواب: فأجابه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد. ز.

(٣) هكذا فى الأصل، والصحيح: من أبى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى. ز.

[المجادلة: ٢٢] وجند الله هم الغالبون. هذا وقد خرج عليك الإمام المنتظر كالأسد الغضنفر في سراييل الظفر، متقلداً سيف الغضب، مستغنياً عن نصر العرب، لا يأخذه في الله لومة لائم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الجمعة: ٤] والله واسع عليم قد اكتنفه العز من حواليه، وسارت الهيبة بين يديه، وضربت الدولة عليه سراقها، وألقت عليه قناع بوائقها وانقشعت طخاء الظلمة ودجنة الضلالة وغاضت بحار الجهالة ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

تالله غرتك نفسك، وأطمعتك فيما لست نائله، وسولت لك ما لست واصله، فكتبت لى بما أجمعت عليه أذهان كتابك، ذكرتني بالعيوب الشنيعة، وقذفتني بالمثالب السمجة، تالله ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣] فأما ما ذكرت من قتل^(١) الحجيج، وإخرااب الأمصار وإحراق المساجد، فوالله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار، ومعاينتى منهم أخلاق الفجار فحكمت عليهم بحكم الله ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] خبرنى أيها المحتج لهم والمناظر عنهم فى أى آية من كتاب الله أو أى خبر عن رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمر وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام.

(١) فى الأصل (قبل) والمناسب للسياق ما أثبتته. اهـ. مصححه.

وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأى مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ بأسانيد عن مشايخ فجرة بما أجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة.

وأما تخويفك لى بالله، وأمرك بمراقبته، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى أنى أجهل بالله منك، وصرفك أموال المسلمين للصفاعة والضرابين ومنعها عن مستحقيها، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] وأما ما ذكرت أنى تسميت بسمة عدوان، فليس أعظم من تسميك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين، أى جيش صدمك، فاقتدرت عليه؟ أم أى عدو ساقك فابتدرت إليه؟ لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وإنك، لتقلد بعض خدمتك شيئاً من أمرك، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى فأى الأمرين أقرب للتقوى، أو ما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بنى عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم؟

وبعد فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد، اعزم على ما أنت عليه عازم، وأقدم على ما أنت عليه قادم، والله من ورائى ظهير، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته.

قال محمد بن مالك الحمادى - رحمه الله تعالى: يرجع الحديث إلى قصة صاحب مسور، وعلى بن فضل - لعنهما الله تعالى: وذلك أن صاحب مسور لما علم أن على بن فضل غير تاركه لما ذكر فى كتابه

عمد إلى جبل مسور فحصنه وأعد فيه جميع ما يحتاج إليه للحصار وقال لأصحابه: إني لأخاف هذا الطاغية، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في شبام، فلم يلبث على بن فضل أن خرج لحرب المنصور واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب، فدخل قرية شبام وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل إلى موضع يقال له "المصانع" من بلد حمير، فضبطوا ذلك الجبل، فزحف إليهم فاقتتلوا من أول النهار إلى الليل، فخرج على بن فضل على طريق العصد، ودخل لاعة مصعداً إلى جبل الجميمة مقاتلاً للمنصور، فضرب فيها مضاربه ورجع إلى أصحاب حضور المصانع^(١) فلزموا بيت ربيته وضبطوا الجبل فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور، فحاصره ثمانية أشهر، وقيل: إن المنصور حمل من سوق طمام خمسمائة حمل ملح قبل وصول على بن فضل، وعق له في الجبل عقاً واسعاً في موضع كثير التراب، وأوقدوا فوقه الحطب أياماً حتى استملح الجبل فصار ملحاً كله ثم نقله إلى الخزائن.

ثم إن على بن فضل مل المقام، فلما علم منه المنصور ذلك دس عليه في أمر الصلح، فقال له: لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته إلا أن يرسل إليّ بعض ولده فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي، فأرسل ولده ودفعه بالتى هي أحسن، فرجع إلى مذيخرة فأقام عنده ولد المنصور سنة، ثم رده إلى أبيه

(١) حضور المصانع: جبل عظيم باليمن، وهو غير جبل شعيب.

وبره وطوقه بطوق من ذهب، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش، وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمر بإطفاء السرج، وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه، وروى أن عجزواً محدودة الظهر وقعت مع رجل منهم، فلما تبين بها خلاها، فتعلقت بثيابه وقالت: دويد من ذى حكم الأمير^(١) فجرت مثلاً.

ويقال: إن أيامه - لعنه الله - كانت سبع عشرة سنة، ومات مسموماً سنة ثلاث وثمانمائة، وكان سبب موته - لعنه الله - أن رجلاً من أهل بغداد يقال: إنه شريف وصل إلى الأمير سعد بن^(٢) أبى يعفر الحوالى، وكان فى ذلك الوقت هارباً من القرمطى فى الجوف من بلد همدان مستجيراً ببني الدعام، وإن ذلك البغدادى وهب نفسه لله والإسلام وقال للأمير: تعاهدنى وأعاهدك أنى إذا قتلت هذا القرمطى كنت معك شريكاً فيما يصل إليك، فعاهده على ذلك، وكان طبيباً حاذقاً، فخرج إلى مذيخرة فكان مع كبار أهل دولة القرمطى يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات حتى وصفوه للقرمطى بالحقن بالطب وفتح العروق، وقالوا: إن مثلك لا يستغنى أن يكون فى حضرته مثله، ثم إنه

(١) وفى نسخة البهاء الجندى مؤرخ اليمن: (دويد من ذى حكم به الأمير)، ثم قال: "دو" بمعنى "لا" فى بعض لغات اليمن، و"ذى" بمعنى الذى، وقال البهاء الجندى: سألت جمعاً منهم عن جمع النساء مع الرجال هكذا فأنكروه. اهـ. لكن غريب منه أن ينتظر منهم الاعتراف بمثل هذه الشناعة البالغة وهى معروفة فى فروعهم إلى اليوم. ز.

(٢) هكذا فى الأصل، والصواب حذف "أبى" قال الجندى: قال الطبيب لأسعد الأمير: (إن أنا عدت نقاسمنى ما يصير إليك من الملك)، لكن قتل ولم يعد. ز.

احتاج إلى إخراج الدم، فأمره أن يفصده، فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه، فدخل على القرمطى فسلم عليه، فأمره أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها، ثم أخرج الموضع ثم مصه، وعلى بن فضل ينظر إليه، ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته، ثم فصده، وخرج من ساعته فركب دابته وخرج هاربا، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب فلم يوجد فلحقوا به دون نقييل^(١) صيد بإزاء قينان^(٢) فقتلوه هنالك - رحمه الله تعالى - ومات القرمطى - لا رحمه الله.

وولى الأمر من بعده ولده الفأفاء، وشاع موته فى الناس، ووصل إلى الدوالي جماعة من رؤساء الناس: بنو المحابى والأنبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل الدعكر^(٣)، ثم تقدم إلى جبل التومار فحاصر القرامطة، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النعمة، لا يخرج لهم جمع إلا هزموا أو قتلوا، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢-١٧٣] فأقام يحاصر القرامطة سنة، ويقال إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلى وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة وأحيا الإسلام.

(١) النقييل فى لغة اليمن: العقبة، وهى الأكمة المرتفعة.

(٢) بوادى السحول المعروف بقينان، وقد زاره الجندى سنة ٦٩٦. ز.

(٣) وفى بعض الكتب "التعكر". ز.

ليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات وأتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجادات، وُعِظُوا فلم يتعظوا، وناموا فلم يستيقظوا، ونظروا بغيرهم فلم يعتبروا، وقد قيل في "المثل السائر":

وإذا رأيت أخوك يخلق رأسه أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته، وجار عليها في حكمه وقضيته دل على زوال مملكته وتعجيل منيته، وقد قال الأول:

ومن رعى غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وإذا فرط الراعى في أمر رعيته وطاوع نفسه الدنية، وذهب عنه

الأنفة والحمية فقد عظمت عليه البلية، وقال الأفوه الأودى:

لا يصلح القوم فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار ينقادوا

رجع الحديث إلى محاصرة الأمير الحوالى، فروى أنه نصب

المنجنقات فهدم المذيخرة بعد سنة، ودخل على القرامطة فقتلهم وأخذ من

الغنائم ما لا يحصى، وسبى بنات القرمطى وكن ثلاثاً، فصار اثنتين فى

رعين، وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان، وأباد الله القرامطة على

يد الأمير الحوالى بمنه وسعاده، وجعل لا يسمع بأحد منهم إلا قتله،

ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك وملك جميع البلاد وزالت الفتنة

وأراح الله من القرامطة وطهر منهم البلاد وآمن منهم العباد، وسار

الأمير فى الناس بأحسن سيرة وعدل فى الرعية، ورد بنى المحابى إلى

مخلاف جعفر، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالى والأمير إبراهيم ابن

زياد^(١) والناصر أحمد بن يحيى الإمام الهادي صاحب صعدة^(٢)، وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيثما وجدوا، وذكروا أنه كان يوجد عنوان: كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة، والأرض فيما بيننا قد حصلت في شبكة. وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنوب أذنبه كاتب فيه وسأل الصفح عنه، وصفت لهم المعيشة، واستقامت لهم الدولة، ولزم كل واحد منهم بلده، ولم يطمع واحد على صاحبه، وألف الله بين قلوب المسلمين، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم والناصر بن يحيى، وأنا أذكر ذلك في موضعه - إن شاء الله تعالى.

باب ذكر أولاد المنصور

مات - لعنه الله - سنة اثنتين وثلاثمائة، واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له: عبد الله بن عباس الشاوري وإلى ولده أبي الحسن المنصور، وقال: قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بنى عبيد بن ميمون، فنحن غرس من غرسهم، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا في الرياسة حال فعليكما بمكاتبة القائم منهم، فأوصيكما بطاعة المهدي - يعني عبيد بن ميمون - حتى يرد أمره بولاية أحكما، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه.

(١) أحد ملوك بنى زياد في زبيد.

(٢) أحد أئمة الزيدية في اليمن، وهو الذي خرج من المدينة المنورة إلى اليمن وسيرته معروفة.

وقد كان لعبد الله بن عباس عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة لأن المنصور قد كان - لعنه الله - بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب^(١) ما أذكره فيما بعد.

ثم إن عبد الله بن عباس كتب إلى عبيد الله بن ميمون المسمى بالمهدي بموت المنصور وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهديّة بالغرب، وأنه أقام بمذهبه من بعد المنصور ودعا إليه، وأنه لم يبق إلا استيراد الأمر، ويسأله الولاية وعزل أولاد المنصور، وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه ولا ينزع الأمر منهم بعد أبيهم، وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه، وولاه الأمر وكتب له، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس، وبعث لابن عباس بسبع رايات، فرجع ولد المنصور إلى مسور، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقية عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي - لعنه الله - فسألوه: بم ورد الأمر؟ فعرفهم بصرف الأمر عنهم إلى عبد الله بن عباس دونهم فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد، فنهاه عن ذلك وقبح عليه وزجره، وقال له: أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الأمر، قال: والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره، ونحن أحق به منه، فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذا يتلاشى ويزول ملكنا، وتفترق هذه الدعوة، ويذهب الناموس الذي نمسناه

(١) بأفريقية. ز.

على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك، فلم يلتفت إلى قوله وكتب السر في نفسه، وكان أولاد المنصور لا يحبون عن أبي ليلاً ولا نهراً فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور فقتله غدراً وولى الأمر من بعده فولى ما كان أبوه يلى ورجع إلى مذهب الإسلام وجمع العشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأحبه الناس، فدخل عليه جعفر فقبح ما فعله وقال: قطعت يدك بيدك، فلم يلتفت إلى قوله، وخرج جعفر إلى ولد عبيد المسمى بالقائم فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه:

فكنتم وأنتم تهدمون وأبتى فشتان من يبنى وآخر يهدم
ويتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم، فأباد القرامطة
وبقى منهم قوم يتكتمون منه، وأقاموا ناموسهم برجل منهم، وكان لا
يقطع مكاتبة بنى عبيد ثم إن أبا الحسن خرج من مسور إلى عبر محرم
وفيه يومئذ رجل من بنى العرجى، واستخلف أبو الحسن على مسور
رجلاً يقال له: "إبراهيم بن عبد الحميد السباعي" وهو جد المنتاب، فوثب
ابن العرجى على أبي الحسن فقتله، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم بن عبد
الحميد السباعي لزم مسوراً وادعى الأمر لنفسه وخرج أولاد المنصور
وحريمه من مسور إلى جبل ذي أعسب فوثب عليهم المسلمون من أهل
المغرب فقتلوهم^(١) الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ولم يبقوا على

(١) مغرب اليمن.

وجه الأرض من الكافرين دياراً، ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه.

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجى واقتسما المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير، وكان أبوه قتل في مخلاف البياض لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر، ثم إن إبراهيم بنى في بيت ريب مسجداً ونصب منبراً وخطب لأمر المؤمنين من بنى العباس وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد، وبذل له من نفسه السمع والطاعة والدخول في الخدمة وسأله أن يبعث إليه محاضر من قبله يكون عنده، فأرسل رجلاً يقال له: "السراج" وقال له: إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميد، فوصل من زبيد ولقيه إبراهيم بن عبد الحميد إلى بيت ريب وطلع إبراهيم بن عبد الحميد إلى حصن في رأس الجبل، وكان ينزل إليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه، ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناساً من أهل الجبل، فنزل إليه يصحبه، فلقية رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع حصنه فضرب الطبول فاجتمع إليه الناس ومن كان فيه من أهل دولته، فدخل على السراج فقبض عليه، فأمر بخلق لحيته ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد، واستمر أمره وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبى ذراريهم، فبقى منهم قليل في ناحية جبل مسور، فأقاموا قرمطياً منهم يقال له: "ابن الطفيل"، فسمع به إبراهيم بن عبد الحميد، فخرج إليه فقتله، وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمان وقطاية وانكتم

أمرهم عن إبراهيم، ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له: "ابن رحيم" وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد خوفاً من المنتاب ومن المسلمين وهو ي كاتب بنى عبيد وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة إليه، فلم يزل ابن رحيم ي كاتب أهل مصر المعز ومن بعده، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات - لا رحمه الله - واستخلف على من بقى من القرامطة - لعنهم الله - رجلاً يقال له: "يوسف بن الأمشح" من أهل شبام حمير، فأقام - لعنه الله - يدعو إلى الحاكم ويبيع له على وجه السر حتى مات - لعنه الله - واستخلف على مذهبه رجلاً يقال له: "سليمان^(١)" بن عبد الله الزواحي" من حمير من ضلع شبام من موضع يقال له: "الحفن" فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه فاستمال الرعايا والطغاة إلى مذهبه وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بنى عبيد بن ميمون الملعون، وقد كان عرف بذلك ونسب إليه، فكلما هم به المسلمون من حمير وشبام وما حوله من القبائل دفعهم بالجميل وقال لهم: أنا رجل مسلم فكيف يحل لكم قتلى؟ فينتهون عنه. وكان فيه كرم نفس، وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات - لا رحمه الله.

(١) وكان هذا داعياً فقط، وفي تاريخ عمارة بعض توسع في أبناء هؤلاء. ز.

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين

وكان هذا الصليحي المسمى على بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة، وكان أحظى من عنده وأطوع أهل مذهبه له، وكان لا يأتيه من بلد إلا خروج، وهو سبع من أسباع حراز، وكان الصليحي الملعون شهماً شجاعاً مقداماً، فلما عرفه سليمان بذلك وحضرته الوفاة - لا رحمه الله - أوصاه بأهل مذهبه وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم إليه مالا كثيراً قد كان جمعه من أهل مذهبه، ثم إن الصليحي الملعون أرسل إليه القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة متباعدة فوعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم، فلما وصلوا إليه طلع بهم مسار^(١)، وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين^(٢) وأربعمائة، وطاعته تسعمائة رجل وخمسون رجلاً، فلما استقر بالجبل كتب^(٣) إلى صاحب مصر وهو معد المستنصر من بنى عبيد، ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق واثنى عشر سكيناً نصبها عقيق، لأن العقيق عندهم قدراً لأنه لا يكون إلا في اليمن، وخمسة أثواب وشى، وجام عقيق، وفصوص عقيق مع إهليلج كابلى ومسك وعنبر.

(١) مسار: حصن عظيم في حراز باليمن، وموضعه فوق مدينة مناخة.

(٢) ونقل ابن خلكان عن أخبار اليمن لعمارة اليمنى أنه كان ذلك في سنة ٤٢٩ (١-٣٦٨). ز.

(٣) سنة ثلاث وخمسين يستأذن في إظهار الدعوة، فأذن له، فطوى البلاد طياً وفتح الحصون والتهائم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وملك اليمن كله سهله ووعره وبره وبحره، وهذا أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام كما في ترجمة الصليحي، هذا في وفيات الأعيان. وأطال عمارة اليمنى في بيان أبنائه وأبناء أبنائه بنوع من الميل إليهم. وفي تاريخ الجندى أيضاً بعض بسط في أبناء الصليحيين - خذلهم الله. ز.

فوجه معد المستنصر إليه برايات وألقاب وعقد له الولاية، وكان
سفيره خاله أحمد بن المظفر، وأحمد بن محمد الذي انهدم عليه الدار
بعدن، وهو أبو زوجة المكرم المسماة بالسيدة بنت أحمد.

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى
قوله؛ فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم، لقد
سمعتهم مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه: قد قرب كشف ما نحن نخفيه
وزوال هذه الشريعة المحمدية - والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله
من فساد الدين وهلاك المسلمين -

خلعت العذار ولم أستر وأظهر ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررت من الغي والمذهب الأخسر
وتبت إلى الله مستغفراً منيباً إنابة مستغفر
وحرمت ما كنت حالته لقومك من كل مستنكر
وحذرت من فعلك العالمي - وعدت إلى المنهج الآبور
فإن جئت نحوك مستغفراً فبالله بالله لا تغفر
أتحسبني أنتنسى صبوة إلى رائق اللون والمنظر
وحاشا لمثلنى أن ينتنسى إلى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح فلا زال ذاك إلى المحشر
عباد الله: إنى لم أزل أتلطف بخاصته وأهل مذهبه، ولم أقنع حتى
خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه وضلاله وكفره وبدعته

وأعماله الشنيعة وضلالته الفظيعة التي تنكرها القلوب وتشمئز منها النفوس.

وذلك أن الصليحي^(١) ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفى كل جهول غبي بعهود مؤكدة ومواثيق مغلفة مشددة على كتمان ما بويح عليه ودعى إليه، وأنه لا يكشف لهم سراً ولا يظهر لهم أمراً، ثم يطلعه على علوم مموهة وروايات مشبهة، يدعوهم في بدء الأمر إلى الله ورسوله كلمة حق يراد بها الباطل ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ، فإذا انقاد له وطاوعه أدخله في طرق المهالك تدريجاً ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً وتعويجاً، بكتب مصنعة وأقوال مزخرفة إلى أن يلبس عليه الدين ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة، لأنه صادق أكثر الناس عواماً، فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل الإسلام من حسب وسنجان ويام^(٢)، فحرم الحلال وأحل الحرام وناقض بجهد الإسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرم، فأهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق.

(١) لم يدرك المصنف أواخر عهد الصليحي، وكان قتل "علي بن محمد الصليحي" في يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ٧٣٠ هـ، على التحقيق، ثم قام ابنه أحمد، ثم ابنه "أبو حمير سبأ" ثم الداعي الزواحي، ثم انتقلت الدعوة إلى آل زريع إلى أن استأصل رجال صلاح الدين الأيوبي شأفة المذهب الباطني من البلاد اليمنية، فعاد إلى الكمون في القبائل الآتية. ز.

(٢) وقبيلة "يام" إلى اليوم باطنية تنتمي إلى بهرة الهند. ز.

«آخر رسالة محمد بن مالك - رحمه الله رحمة الأبرار، ووقاه

عذاب النار»

قال سيدنا عبد الله بن المبارك:

أصل الاثنتين والسبعين فرقة هو أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت هذه الاثنان والسبعون فرقة، وهم: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فمن قدم أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً واحداً بعد واحد على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقيين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج.

ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهdy من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة.

ومن قال: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، فقد خرج من قول المرجئة.

وكان أيوب يقول عند الموت: "السنة السنة وإياكم والبدع" حتى مات، قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله: مات رجل من أصحابي فرئى في المنام فقال: قولاً لأبي عبد الله: عليك بالسنة فإنها أول ما سألتني الله عنه سألتني عن السنة، وقال أبو العالية: من مات على السنة مستوراً فهو صديق، ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة، ويقال: الاقتصاد في

السنة خير من الاجتهاد في البدعة. ومن السنة ترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

وكان ابن عمر يكره المناظرة ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا. وقول الله تعالى أكبر من قول الخلق إذ يقول عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] وسأل رجل عمر فقال: ما ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]؟ فقال: لو كنت مخلوقاً^(١) لضربت عنقك. وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يمارى ولا أشفع للممارى يوم القيامة فدعوا المراء»، ولا يحل لأحد أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة كلها.

قال بشر ابن الحارث: الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام، وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع فكأنما أرى رجلاً من المنافقين.

وقال يونس بن عبيدة: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه من يدعى فيقبل.

وقال مالك بن أنس: من لزم السنة وسلم منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن كان مقصراً في العمل.

واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه أراد محمدا وقد آذاه في قبره ﷺ. وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره فإن الذي أخفى أكثر من الذي أظهر. وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لى التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول: فلان مجبر أو يتكلم بالعدل أو يتكلم بالإجبار فإنه قدرى؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.

وقال عبد الله بن المبارك: لا تأخذ على أهل الكوفة في الرفض شيئا، ولا عن أهل الشام في السيف، ولا عن أهل البصرة في القدر، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء، ولا عن أهل مكة في الصرف ولا عن أهل المدينة في الغناء. لا تأخذ عنهم في هذه الأشياء شيئا. واعلم أن كل علم ادعاه العباد لم يوجد بالكتاب والسنة والأثر وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ وهو العتيق^(١). واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالسه وممن تسمع ومن تصحب، ولا تقبل الحديث إلا ممن تقبل شهادته، وانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته؛ لقوله عليه السلام: «إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم».

نسأل الله السلامة من جميع الأهواء والبدع ولزوم السنة والجماعة مع حسن الخاتمة برحمته إنه جواد كريم، والحمد لله كثيرا دائما
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم كثيرا

(١) هكذا بالأصل. انتهى. مصححه.

فهرس الكتاب

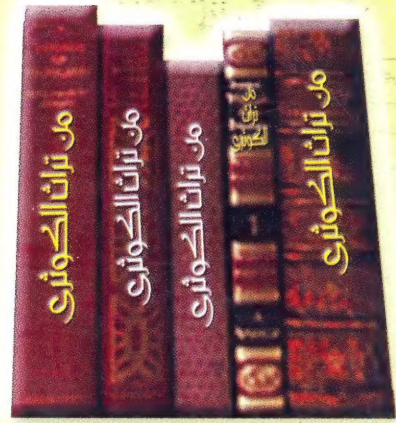
- ١- كلمة الناشر ٣
- ٢- مقدمة الكتاب وكلمة عن طوائف الباطنية ٦
- ٣- المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها ٢٧
- ٤- باب : اعلّموا يا إخوانى فى الإسلام ٢٧
- ٥- باب ذكر ما كان من القداح وعقبه ٣٠
- ٦- باب خروج ميمون القداح من سلمية إلى الكوفة ٣٢
- ٧- باب ذكر أبى سعيد الجنابى ٣٢
- ٨- باب ذكر الحسن بن مهران ٣٣
- ٩- باب ذكر محمد بن زكريا ٣٣
- ١٠- باب ذكر على بن فضل الجدنى ٣٣
- ١١- باب ذكر على بن أحمد ٤٣
- ١٢- باب ذكر أولاد المنصور ٥٧
- ١٣- باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين ٦٢
- ١٤- فهرس الكتاب ٦٨

قام بالتصحيح

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمى وتحقيق التراث

ت: ٥٤٥٩٧٥٠ - محمول: ١٠٩١٢١٩٥٠

جمهورية مصر العربية



من تراث الكوفة